

معاذة العدوية

※ نسبها

هى معاذة بنت عبد الله العدوية .

※ كنيثها

تكنى أم الصهباء محمد بن فضيل..

كانت من عابدات البصرة.

وهى روجة صلة بن أشيم العدوى أبو الصهباء العابد الزاهد .

كان راهبا من رهبان الليل ، فارسا من فرسان النهار .

وكان لا ينام ليله ولا يفطر نهاره.

※ يانفس

كانت معاذة بنت عبد الله العدوية تحب الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت

فى الدار وهى تقول :

- يا نفس : النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور.

فهى كذلك حتى تصبح

وكانت إذا جاء النهار قالت :

- هذا يومى الذى أموت فيه .

فما تنام حتى تمسى .

وإذا جاء الليل قالت :

- هذه ليلتى التى أموت فيها.

فلا تنام حتى تصبح.

وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

فكانت تصلى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزأها من الليل تقوم به .

وكانت تقول :

- عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور .

يقول الحسن بن على بن مسلم الباهلى :

سمعت أبا السوار العدوى يقول :

بنو عدى أشد أهل هذه البلدة اجتهادا : هذا أبو الصهباء - صلة بن أشيم

العدوى - لا ينام ليلة ولا يفطر نهاره ، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها

إلى السماء أربعين عاما .

* قالت لى معاذة

أرضعت معاذة بنت عبد الله العدوية جارية - فتاة أم الأسود بنت زيد العدودة -

تقول - أم الأسود بنت زيد العدوية :

قالت لى معاذة : يا بنية : كونى من لقاء الله عز وجل على حذر ورجاء ، إنى

رأيت الراجى له محقوقا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف مؤملا للأمان

يوم يقوم الناس لرب العالمين . ثم بكى حتى غلبها البكاء .

* أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر

تقول معاذة بنت عبد الله العدوية :

حدثنى جعفر بن زيد فقال :

خرجنا فى غزاة - غزوة - إلى كابل - عاصمة أفغانستان اليوم - ، وكان فى الجيش

صلة بن أشيم ، فلما أرخى الليل سدوله حط المسلمون رحالهم وأصابوا شيئا من

الطعام وصلوا العشاء الأخيرة فقلت :

- لأرمقن عمل صلة بن أشيم وأنظر ما يذكر الناس من عبادته .

فما أن غرق الجند في نومهم حتى رأيته يستيقظ من رقدته وينحار عن العسكر - يميل بعيدا عن العسكر - ويدخل غيضة - غابة باسقة الأشجار - كأن لم تطأها قدمان منذ دهر طويل ، لقد التمس غفلة الجند وهدوء العيون .

فمضيت في إثره - وراءه - فتوضاً ثم قام يصلى واستغرق في صلاته كأنما يجد في الوحشة أنسا ، وفي البعد قربا وفي الظلمة ضياء ونورا .

وبينما هو كذلك إذا جاء أسد حتى دنا منه ، فصعدت في شجرة باسقة فراراً من شره .

وراح الأسد يقترب من صلة بن أشيم حتى صار على قيد - بعد - خطوة ، ولكن صلة بن أشيم لم يلتفت إليه فهل عده جرذاً ؟

ثم سجد فقلت :

- الآن يفترسه

فلما نهض من سجوده وجلس اقترب الأسد منه ووقف بإزائه - أمامه - كأنه يتأمله .

ولما فرغ من صلاته نظر إلى الأسد وقال له :

- أيها السبع : اطلب الرزق من مكان آخر .

فإذا بالأسد ينصرف عنه وهو يزأر زئيراً تصدع الجبال منه .

ولما تنفس الصبح جلس صلة بن أشيم فحمد الله عز وجل بحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال :

اللهم إني أسألك أن تحببني من النار ، أو مثلى يجترئ أن يسألك الجنة ؟

ثم رجع إلى رحله فأصبح كأنه بات على الحشايا .

وأصبحت وبى من الفترة - الانكسار والضعف - شىء الله عز وجل به عليم .

* اللهم إني أقسم عليك

تقول معاذة :

قال جعفر بن زيد :

لما دنا جيش المسلمين من أرض العدو قال الأمير :

- لا يشذن أحد من العسكر .

فذهبت بغلة صلة بن أشيم بثقلها - بما تحمله - فأخذ يصلى .

فقالوا له :

- إن الناس قد ذهبوا .

فمضى صلة بن أشيم فى صلاته وقال :

- دعونى أصلى ركعتين .

فقالوا :

- إن الناس قد ذهبوا .

قال أبو الصهباء :

- إنهما خفيفتان .

فدعا ثم قال :

اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتى وثقلها .

فجاءت حتى قامت بين يديه - أمامه -

يقول جعفر بن يزيد :

فلما لقينا العدو حمل صلة بن أشيم وهشام بن عامر فصنعا بالعدو الأفاعيل طعنا

وضربا وقتلا فانهمزم العدو وقالوا :

- رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ؟

فأعطوا المسلمين حاجتهم .

✽ هذا كان أمثل مما أردتم

كان صلة بن أشيم لا يجد نهزة - فرصة - ولا ساحة من سوانح الموعظة والتذكير إلا اغتنمها ، وكان أسلوبه في ذلك أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فتتنجذب إليه النفوس النافرة كما يجذب النور الفراشات ، ويستلن القلوب القاسية وكان أبو الصهباء يخرج إلى الجبان - الجبال - فيتعبد فيها ، فكان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم :

- أخبروني عن قوم أرادوا سفرا فحادوا النهار عن طريق وياتوا الليل ليستريحوا

فمتى ترونهم ينجزون رحلتهم ؟

فكان أبو الصهباء كلما مروا به يعظهم .

ومر بهم ذات يوم فقال لهم مقالته .

فقال شاب منهم :

- يا قوم : والله إنه ما يعنى بهم غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام .

ثم تبع صلة بن أشيم وما زال في صحبته حتى مات .

ومر أبو الصهباء وأصحابه بفتى يجز ثوبه - أطال ثوبه وجعل يجره على الأرض

خيلاء وكبرا - فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يشتموه فقال أبو الصهباء :

- دعوني أكفكم أمره .

ثم أقبل أبو الصهباء على الشاب وقال له في رفق الأب الشفيق :

- يا ابن أخى : إن لى إليك حاجة .

فتوقف الشاب وتساءل :

- وما هي يا عم ؟

قال صلة بن أشيم :

- أن ترفع إزارك ، إن ذلك أنقى لثوبك ، وأتقى لربك ، وأقرب لسنة نبيك ﷺ

فقال الشاب بلا تردد :

- نعم ونعمة عين - مسرة عين -

ثم بادر ورفع إزاره .

فقال أبو الصهباء لأصحابه :

- إن هذا كان أمثل مما أردتم ، لو شتمتوه لستمكم ، وظل يجر ثوبه مُسدلاً يمسح

الأرض .

﴿ قد نعى لنا

ذات يوم كان أبو الصهباء يتناول طعامه فجاءه رجل وقال له :

- إن أخاك مات .

فلم يتوقف صلة بن أشيم عن الطعام وقال للرجل :

- هلم فكل قد نعى لنا ، ادن فكل

فقال الرجل في عجب :

- والله ما سبقنى إليك أحد فمن نعاه ؟

قال أبو الصهباء :

- يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٣٠] .

﴿ بكى وأبكى الناس :

يقول الحسن البصري :

مات أخ لنا فصلينا عليه ، فلما وضع في قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم

فأخذ بناحية الثوب ثم نادى :

- يا فلان ابن فلان :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجيا

فبكى

وأبكى الناس .

وجاء رجل لأبى الصهباء فقال له :

- ادع الله عز وجل لى .

قال صلة بن أشيم :

- رغبت الله عز وجل فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذى لا

يسكن إلا إليه ولا يعول فى الدين إلا عليه .

* علمنى مما علمك الله عز وجل

جاء أبو السليل صلة بن أشيم فقال له :

- يا أبا الصهباء : علمنى مما علمك الله عز وجل .

قال أبو الصهباء :

- أنت اليوم مثلى حيث أتيت أصحاب رسول الله ﷺ أتعلم منهم .

فقلت لهم :

- علمونى مما علمكم الله .

فقالوا :

- انتصح للقرآن وانصح للمسلمين وأكثر من دعاء الله ما استطعت ، ولا تكونن

قتيل العصا ، قتيل عمية - من العلماء الضلالة كالقتال فى المعصية والاهواء -

* إن كنتن جثتن لتهنئتنى فمرحبا

يقول ثابت البناني :

إن صلة بن أشيم كان فى مغزى له ومعه ابن له فقال :

- أى بنى : تقدم فقاتل حتى أحسبك .

فحمل فقاتل ثم تقدم أبو الصهباء فقاتل مقبلا غير مُدبر حتى قتل

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت :

- إن كان ابنى وزوجى قد ماتا فقد جثتن معزيات ، وإن كانا قد قتلا شهيدين فى

سبيل الله وظفرا بما كانا يطمعان فيه من الشهادة فمرحبا فقد جثتن لتهنئتنى فمرحبا .

يقول سلمة بن حسان العدوى :

- إن معاذة لم توسد فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت .

وتقول أم الاسود بنت زيد العدوية - كانت معاذة قد أرضعتها - :

قالت لى معاذة لما مات زوجها وابنها شهيدين :

والله يا بنية : ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم ، ولكن والله

أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء
وولده فى الجنة .

* وفاة معاذة بنت عبد الله العدوية

لما احتضر الموت معاذة بنت عبد الله العدوية بكّت ثم ضحكت .

ف قيل لها :

- فمم البكاء ومم الضحك ؟

قالت :

- أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر . . فكان البكاء

لذلك .

وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإننى نظرت إلى أبى الصهباء - صلة بن أشيم - قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شيئا فضحكت إليه ولا أراى أدرك بعد ذلك فرضا .

فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة .

✽ من مسانيدھا

أدرکت معاذة أم المؤمنین عائشة وروت عنها .

وروى عن معاذة بنت عبد الله العدوية الحسن البصرى وأبو قلابة ويزيد الرشك .